

الزراعة في الإمامة في العصر العباسي



الدكتور عبد الله محمد السيف

اختلاف

الجغرافيون المسلمون في تحديد إقليم اليمامة اختلافاً كبيراً : فبعضهم جعله من نجد « اليمامة صرة نجد ومدينة نجد حجر »^(١) وآخرون جعلوه من الحجاز^(٢) . بينما توسع الأصفيهاني في تحديده لليمامة فجعلها إقليماً مستقلاً يشمل جزءاً من اليمن وجزءاً من البحرين وجزءاً من أطراف الشام والعراق^(٣) .

يرجع الاختلاف الذي رأيناه في تحديد اليمامة إلى اختلاف الحدود الإدارية لأقسام جزيرة العرب بين فترة تاريخية وأخرى : فالتنظيمات الإدارية تتغير بتغير الظروف التاريخية ولا تراعى الحدود الجغرافية^(٤) . أما دراستي لليمامة في هذا البحث فستشمل هضبة نجد الوسطى أو ما يعرف الآن إدارياً بمنطقة الرياض .

سأتناول في هذا البحث العوامل المؤثرة في الزراعة ، والإقطاعات والملكيات الزراعية ، وطرق الري المستخدمة في اليمامة في العصر العباسي . ثم أختتم البحث بالحديث عن المحاصيل الزراعية وطرق التعامل الزراعي السائد في اليمامة في تلك الفترة .

العوامل المؤثرة في الزراعة :

عرفت اليمامة منذ العهود الإسلامية الأولى بخصوبة أرضها^(٥) . ووفرة إنتاجها من الحبوب والتمور . حتى أنه كان لأسود بن مالك بن عبدالله (من بني بشكر بن بكر بن وائل) نخل موقوفة « نصرم في كل سنة مرتين »^(٦) . وكان الانتاج الزراعي في اليمامة يصدّر إلى المناطق المجاورة لها : ففي عهد الرسول ﷺ قطع ثمامة بن أثال الحنفي الميرة عن قريش في مكة بعد دخوله في الاسلام . ولم يعدها إليهم إلا بأمر من رسول الله ﷺ^(٧) .

وفي العصر الأموي استمر تصدير الانتاج الزراعي إلى الحجاز . وعندما تأزم الموقف بين عبدالله بن الزبير - رضي الله عنه - وبين نجدة بن عامر الحنفي قطع الميرة الصادرة من اليمامة والبحرين عن أهل الحجاز . ولم يعد تصديرها إلا بعد أن تدخل عبدالله بن عباس - رضي الله عنها - وأقنع نجدة بن عامر الحنفي^(٨) .

وفي العصر العباسي تحدّثنا المصادر عن خصوبة التربة في اليمامة ووفرة إنتاجها الزراعي . فتذكر المصادر أن اليمامة أكثر تخيلاً وتنعراً من المدينة ومن سائر الحجاز^(٩) . ووصف ياقوت نقلاً عن السكوني قرية سدوس بأنها من أغصب قرى اليمامة^(١٠) . ويعتبر وادي الحرج في اليمامة أحد الأودية

المشهوره بخصوبة أرضه وهو « خير واد بالهامة أرضه أرض زرع وتخل »^(١١١) . ويذكر المقدسي أن الهامة بلد جيدة التصور^(١١٢) . وتنتشر المناطق الخصبة في مناطق الهامة مثل قرقرى^(١١٣) ، والزوسم^(١١٤) ، والفلقج^(١١٥) . وسود باهله^(١١٦) ، والفقى^(١١٧) ، وغيرها . ولاشك أن خصوبة التربة في الهامة من العوامل التي ساعدت على نمو الزراعة وتطورها .

ومن العوامل التي ساعدت على نمو الزراعة في الهامة وجود المياه الوفيرة الكافية للزراعة ، كالعيون الجارية ، والآبار الجوفية ، وبماء الأمطار الشتوية . وستحدث عن ذلك بالتفصيل أثناء حديثنا عن طرق الري .

والأبدي العاملة من العوامل الأساسية في نهضة الزراعة ، ولقد كان الرقيق يعمل في مزارع الهامة في العصر الأموي ، حتى أنه كان في الحضارم وحدها أربعة آلاف رقيق يعملون وأسرهم على استصلاح الأراضي واستثمارها لزيادة الانتاج الزراعي^(١١٨) . ومن المحتمل أن الرقيق في العصر العباسي استمر يعمل في المجال الزراعي ؛ حيث وردت اشارات في المصادر تدل على وجوده بكثرة في الهامة^(١١٩) . ويروي الخطيب البغدادي أن الخليفة أبا جعفر المتصور طلب من والي الهامة السري بن عبيد الله الهاشمي أن يشتري له رقيقاً من رقيق الهامة للعمل كباوين له . فاسترى مائتي غلام من الهامة^(١٢٠) . ويروي الحرابي أن قرة بن جابر أحد سكان قرية أضاح قال : « كنا نتضج على حرث لنا بناحية أضاح ، ولنا غلام ونحن نعمل في حرثنا . وكان يلح على رطاة بالزنجية حتى رويناها قال : وقف علينا زنجي قد استعرب وفهم ... »^(١٢١) .

ويستفاد من هذا النص أن الرقيق كان يعمل في الهامة في الزراعة ، كما أن هناك رقيقاً ممن تعلموا اللغة العربية وفهموها ، وبالقبايل وجد رقيق جديد لا يتكلم العربية .

لذلك هي أهم العوامل التي ساعدت الزراعة على أن تبقى ذات شهرة طيبة في الهامة وبخاصة الثور والحيوب ، إلا أننا لا نذكر أن هناك بعض الفترات خلال العصر العباسي كان لها تأثير سيئ على الزراعة نتيجة للاضطرابات الداخلية ؛ ففي سنة ٢٣٢هـ كانت قبائل بنو تغبر تغير على المناطق القريبة منها في الهامة ، فكتب الخليفة الواثق إلى قائده بأمره بالقضاء على قسنتهم فسار إليهم وقتل منهم « زهاء ألف وخمسمائة رجل » وكان بعضهم « أصحاب نخل وساء »^(١٢٢) . ويروي الأصفهاني أن الحروب وقعت بين جمعة وقنبر بسبب الخلاف على سبوح اسحاق « وهو نهر يخرج من قناة » وهو بطيخة واسعة ، وعليه من التخل ما لا يدرى ما مبلقه^(١٢٣) . وعندما استولى بنو الأخيضر على الهامة كانت سياستهم الداخلية تنسم بالمجور وسوء السيرة^(١٢٤) فقاموا بتشتيت أهلها .

يقول ابن حوقل وفي سنة ٢٣٨هـ في عهد الخليفة المتوكل دخل محمد بن يوسف الحسني الأخضر الهامة فجلا أهلها بسبب « جوره إلى أرض مصر والمعدن في الآف كثيرة »^(٢٥) ويقول البغوي بأن أكثر من بالعراق في مصر « قوم من ربيعة من بني حنيفة من أهل الهامة انتقلوا إليها بالعبادات والذرية ... »^(٢٦) . وكانت قرآن من المناطق الزراعية في الهامة وعندما استول بنو الأخضر على الهامة وعاملوا أهلها معاملة سيئة ترك أهل قرآن بلدتهم وهاجروا في سنة ٣٦٠هـ من الهامة إلى البصرة « لحيف لحقهم من ابن الأخضر في مقاساتهم وجذب أرضهم ... الخ »^(٢٧) .

وفي القرن الخامس الهجري زار الرحالة القاضي ناصر خسرو الهامة ، وذكر أن جيشا من العرب مر بالقلج وطلب من أهلها حسانة من من الثمر ، فلم يوافقوا على ذلك فحاربهم الجيش وقتل « من أهل القلعة عشرة رجال وقتلت ألف نخلة »^(٢٨) .

ومن المشكلات التي كانت تواجه الزراعة قلة الأمطار السنوية : حيث أن بعض المزروعات تعتمد على الأمطار^(٢٩) ، وإذا قلت الأمطار أصاب الناس الجهد والتقصير وقلة الانتاج الزراعي^(٣٠) .

الإقطاعات والملكيات الزراعية :

لقد بدأ إقطاع الأراضي للمسلمين في الهامة منذ العهد الإسلامية المبكرة ، فقد أقطع الرسول ﷺ جماعة بن مرارة بن سلمى الحنظلي القوية ، وغرابه، والحبل^(٣١) . كما أقطع فرات بن حيان العجل أرضا في الهامة^(٣٢) . وحين وفد حصين بن شمت على رسول الله ﷺ أنقطعه مياها بالهامة منها الحوي والماعة وأصيهب والنهاد والسديرة^(٣٣) . واستمر إقطاع الأراضي في الهامة في عصر الخلفاء الراشدين^(٣٤) . وفي العصر العباسي وردت أنباء تدل على استمرار إقطاع الخلفاء العباسيين للأراضي في الهامة^(٣٥) .

أما عن الملكيات الخاصة فلا تعطينا المصادر إلا القليل من المعلومات عن أهم شهرة معينة . كما أنها أحيانا تشير إلى الملاك من الأسر بشكل عام . ومن المحتمل أن ذلك يعود إلى انقطاع الهامة وبعدها عن مركز الخلافة . وإغفال المؤرخين لذكرها . فيروي أبو عبد الله السكوني أن يحيى بن طالب الحنظلي كانت له ضيعة بالهامة في قرقرى^(٣٦) . كما كان له ضيعة أخرى تسمى كعيل في قرآن وكان ينزل فيها^(٣٧) . ويذكر الأصفهاني أن حمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الحنظلي كان له

نخل بالهامة^(٢٨) . ومن المحتمل أنها تقع في بلدة أثنية بالوشم من أرض الهامة حيث يروى باقوت أن أكثرها لولد جرير بن الحطفي . وكان لجرير بها ضيعة^(٢٩) . ويقول صاحب بلاد العرب بأن الأحبيس « مائة عليها نخيل لولد السباخ مولى أمير المؤمنين »^(٣٠) .

وهناك دلائل تشير إلى وجود قرى زراعية كانت ملكاً للأسر والقبائل ذكرت بشكل عام وبدون تفصيل : فيروى المفصلي أن المصانع قرية من قرى الهامة . فيها نخل لبني شور بن رزاح^(٣١) . ويقول السكوني بأن عقيق الهامة لبني عقيق فيه قرى ونخل كثير^(٣٢) . وكانت أكنه من قرى فلاح الهامة لبني جمدة كثيرة النخل والزروع والآبار^(٣٣) . أما البائدة ففيها نخيل ومزارع لبني ثمر من يشكر^(٣٤) . وفي تمام نخيل كثير ومزارع لبني هزان^(٣٥) . ويروى المفصلي أن العقير به نخل لبني ذهل بن العول بن حنيقة . ونخل آخر لبني عامر بن حنيقة^(٣٦) . أما الغارية فكانت لبني عبيدة بن النول^(٣٧) . ويذكر الحمداوي أن الحدار به نخل وزروع على آبار وسوان من الأبل للحريش بنى كعب^(٣٨) . أما المذار فهي نخل وزروع لبني قشير^(٣٩) . ولبني قشير أيضاً نخيل ومزارع في قرية قرن والتبعتان^(٤٠) . ولعمدة وادي القيل « ملان نخيلا . وبأعلاء نفر من بني قشير لهم أموال كثيرة »^(٤١) .

وفي وادي الحرج مزارع ونخيل لبني قيس بن ثعلبة بن عكابه بن بكران وائل^(٤٢) . أما قرية سدوس ففيها مزارع لبني سدوس بن شيبان بن ذهل^(٤٣) . وفي القفي نخيل كثير وآبار وضباع لآل حماد بن نعيم^(٤٤) . أما وبرة ففيها نخيل لبني سيار بن عبيد^(٤٥) . وفي أسيلة ماء ونخل لبني العنبر^(٤٦) . ويروى المفصلي أن وادي لبن فيه نخل لبني عبيد بن ثعلبة^(٤٧) . أما بتيان فهو نخل لبني سعد بن زيد بن مائة بن نعيم^(٤٨) . وفي تهلان نخل لبني ثمر^(٤٩) . وكانت جزال نخل لبني عصم من بأهله وسواليها . أما الفرعانة فهو وادي نخل للحارث من بأهله^(٥٠) . هذه بعض نماذج للقرى الزراعية التي ذكرتها المصادر بشكل إجمالي ولا تعلم السبب الذي جعل المصادر تغفل ذكرها بالتفصيل كملكيات زراعية خاصة أهل بعد الهامة وانتطاعها عن مركز الخلافة مما أدى إلى إغفال المؤرخين لذكرها كما أسلفنا . ثم بسبب تدهور الحالة الاقتصادية بشكل عام في الهامة بعد استيلاء الدولة الأخيضرية عليها ومعاملة أهلها معاملة سيئة ، مما أدى إلى هجرة بعض السكان عن الهامة وبالتالي زوال الملكيات الزراعية الخاصة وتدهورها ؟

طرق الري :

كانت الزراعة في الهامة في العصر العباسي تعتمد أحياناً على الأمطار الشتوية التي تتحدّر إلى الأراضي الخصبة غير الوديان الكبيرة ، وكان المزارعون يسقون أراضيهم الزراعية من هذه المياه ، يقول ابن الفقيه : « وأما حنطتهم فتسمى بيشاء الهامة وهي عذى لا سقى ... »^(٦٦) . ويروى الأصفهاني أن رياض السلى (روضة سويس ، روضة البديع ، روضة الطنب ، وروضة الجرداء) تسمى من وادي بنبان « وهي مزارع أعداء لبني حنيفة »^(٦٧) . ويذكر الحمداي أن من الأودية التي تصب في المخرج ذو أروّل وبأوان ونمر وقلاب حيث تجتمع في واد واحد^(٦٨) .

ونظراً إلى أن الأمطار الشتوية موسمية وغير كافية للزراعة ، اتجه السكان إلى حفر الآبار والعيون وإقامة بعض القنوات التي ساعدت على استصلاح كثير من الأراضي الزراعية . فكانت العيون بالهامة كثيرة مثل عين حيت ، وعين جو ، وعين المجرة ، وعين الحضرأ^(٦٩) . أما المياه الجارية على سطح الأرض فيذكر ابن الفقيه أن « بالمجاعة نهران وبأسفلها نهر يقال له سبج العمر وبأعلاها قرية يقال لها نعام بها نهر يقال له سبج نعام »^(٧٠) .

وفي إقليم الفلج بالهامة انتشرت العيون والأنهار الجارية مثل سبج الزمزمي وسبج اسحق وعين الذباب التي « يخرج منها سبعة عشر نهراً »^(٧١) . وقد عدد الحمداي عيون الفلج بقوله « ولبنى جمعة سيحان يقال لأحدها الرقادي والآخر الأطلس . وأما سبج فتشير فاسمه سبج اسحق ، فأما الرقادي فإن مخرجه من عين يقال لها عين ابن أصيص ومن عين يقال لها عين الزبأ مخلطتين وأما الأطلس فإن مخرجه من عين يقال لها عين الناقة ... »^(٧٢) . ويذكر خسرو أن المياه في الهامة وغيرة حيث تجري في قنوات ، وفي إقليم الفلج وحدها أربع قنوات تسمى أشجار النخيل^(٧٣) .

وفي بعض المناطق الزراعية في الهامة كانت المياه تجري تحت الحصى بالقرب من سطح الأرض مثل عقيق الهامة (عقيق لمة) الذي كانت مياهه ينور توجد بالقرب من سطح الأرض « وربما أنارته الدواب بحوافرها »^(٧٤) . وكان ماء ينقى يسقى حصة آلاف بيت وهو « أحساء تحصى من البطحاء .. »^(٧٥) .

ومع التوسع في الزراعة ازداد حفر الآبار لري المزروعات : ففي القفّ توجد الآبار الكثيرة^(٧٦) . كما توجد الآبار في قارة العنبر ، وقارة الحارثي ، وغمرة ، والهدار ، وأكمه والمذارع والعيل في الفلج وحولها النخيل والزروع^(٧٧) . وفي سوق الفلج مائتان وستون بئراً^(٧٨) . وعلى الرغم من أن القوافل

التجارية كانت تنزود من هذه الآبار بالماء إلا أنه يبدو أن هذه الآبار تستخدم أيضاً في ري المزروعات والبساتين . حيث يذكر الأصفهاني أن « منازل بني قنبر في ناحية السوق على شط الوادي نخيل بدور وحيطان »^(٧٤) . كما كانت توجد الآبار أيضاً في قرية السَّال بالهامة^(٧٥) . وكان المزارعون يرفعون المياه من الآبار بواسطة النواضح من الإبل لإرواء مزرعتهم . يقول المهدي : « الهدار فيه نخل وزرع على آبار وسوان من الإبل »^(٧٦) ويذكر خسرو أن المياه في الفلج تخرج من الآبار بواسطة الجهال^(٧٧) .

أنواع الزراعات والمحاصيل الزراعية :

تعتبر التمور والحبوب أهم المحاصيل الزراعية التي كانت تنتج في الهامة في العصر العباسي . ويبدو أن ذلك عائد إلى ملائمة التربة والمناخ لهذه المحاصيل الزراعية . فيروي ابن الفقيه قائلا : « وأما حنظلتهم فتسمى بيضاء الهامة وهي عذى لا سقى يحمل منه إلى الحلقاء وأما قره قلو لم يعرف فضله إلا أن النمر ينادى عليه بين المسجدين يماي الهامة يماي الهامة فيباع كل ثمر ليس من جنسه بسعر الهامي ... »^(٧٨) . وتذكر المصادر أن الهامة أكثر نخيلاً وتمرًا من المدينة ومن سائر الحجاز^(٧٩) . ويقول الرحالة القاسبي خسروا بأن النخيل في الهامة كثير . وعندما يكثر النمر في الهامة يباع الألف من بدينار واحد^(٨٠) . ويذكر الأديسي أن بالهامة « قرى عامرة ومزارع متصلة ونخل وحدائق وأشجار ... وبها ثمر حسنة الألوان نهاية للأكل »^(٨١) .

ومن أهم الأقاليم التي كانت تنتج التمور في الهامة إقليم الفلج : حيث كان ينتج كميات كبيرة من التمور ويوجد بها كثير من المزارع والبساتين . يقول صاحب بلاد العرب « وبالفلج نخيل ومزارع وأنهار »^(٨٢) . وكان سيح اسحق يفسى عددا من النخل « لا يدرى ما يبلغه »^(٨٣) . كما كانت أشجار النخيل تزرع في قرى الفلج والمناطق المجاورة لها مثل قرن التي فيها النخيل والمزارع^(٨٤) . وأكثرت الكثيرة النخل والزروع^(٨٥) . كما يكثر النخل في وادي الهدار والمزارع في الفلج^(٨٦) . والنبطيَّان^(٨٧) . ويعتبر وادي العيِّل في الفلج من أشهر المناطق الزراعية حيث تكثر المزروعات وأشجار النخيل فيروي الأصفهاني أنه وادي بين جبلين « ملآن نخيلاً »^(٨٨) . وبه ثمر يقال له الصفري . يصدر إلى الحجاز « لا يصير في البحر غيره لصلابته . في الصيف يهضغ مثل الكندر . وفي الشتاء ينشق كالزجاج »^(٨٩) . ويقول خسرو بأن ثمر الفلج من أجود أنواع التمور

يحي أفضل من تور البصرة وغيرها^(١٠٠) .

ويروي بأقوت نقلا عن المفصلي أن النخيل كان موجودا أيضا في قرى الهامة مثل العدير .
وادي لبن ، والمصانع ، وبتان ، وويرة ، وأسيلة والقدامي^(١٠١) في الوشم . وتكثر زراعة النخيل
أيضا في نعام^(١٠٢) . وعقيل بني عقيل^(١٠٣) . والخرج^(١٠٤) . وبنقوجة^(١٠٥) . وموتب^(١٠٦) . وادي
القفي . والوتر وروضة الحارثي^(١٠٧) . وقران^(١٠٨) . ورمدا^(١٠٩) . ولهم التي يقول فيها الشاعر :

بسل هل شجرك الظعن باكرة كأنهن النخل من ملهم^(١١٠)

ويروي بأقوت بأن ملهم موصوفة بكثرة النخل^(١١١) . وتكثر زراعة النخيل في قرى الهامة مثل
البالدة وقر وغير^(١١٢) ويقول أبو عبد الله السكوني بأن قرقرى وقرها مثل الحرمة وقرماء والأطواء مليئة
بالزروع والنخيل الكثيرة^(١١٣) .

أما قرية أباض بالهامة فكانت عامرة بالنخيل والمزارع وكان « لما نخل لم ير نخل أطول
منها »^(١١٤) . كما كان يوجد النخل بكثرة في بيتان بالهامة . ويقول أبو داود الأبادي :
نخلات من نخل بيسان أنه

من جميعا ونيتها توائم^(١١٥) .

ومن قرى الهامة التي كانت توجد بها النخيل وادي كثرة والوسط . وادي الجمل^(١١٦) . وادي
لحاء الذي كان كثير الزرع والنخل^(١١٧) . ويذكر الحمداي أن في رملة الوركة « حواء من نخل
كثير »^(١١٨) .

وفي سواد باهلة كانت هناك مياه بالقباء عليها نخيل منها مرفق والحفس والعوسجة وذو
طلوح^(١١٩) . والفرعة وجزال التي يقول فيها الشاعر :

ألا يا بني عصم جزال وحنة مراطيب تخمسي كل عام لكم حريا
إذا أرطبت منها المساكير هيجت صدور رجال لم تروعوا لهم سرها^(١٢٠) .

وتوجد النخيل والمزارع أيضا في الرّيب ومأسل جاده . والنريف . وسخين وسخته . والنط
والربا والجوزاء في سواد باهلة^(١٢١) . وقد زار الثريا الرحالة القاري ناصر خسرو في القرن الخامس
الهجري . وذكر أن بها نخلا كثيرا وأن أراضيها تزرع بمياه الأبار والسواني^(١٢٢) .

ونظرا لكثرة زراعة التخليل في شتى مناطق الهامة : فقد تعددت أنواع التمور وتنوعت فلى الوتر
يوجد نوع من التمر يسمى الزغرى يقول الشاعر :

يذودها عن زغرى بوشر صفائح الهند ولتيان نصير^(١١٤) .

وأجد أنواع التمور في الهامة البردى والزرقاء والجدامية^(١١٥) . وهناك أنواع من التمور أقل
جودة : كالصفرقان ، والحظري ، والمجنبة ، والصفراء ، والنعاعسي ، والصف ، والفسر ،
والصفايا ، والتعوض ، والعاسي ، والجعاب ، والمرى ، وخسراتف بنى مسعود ، والصفرقان ،
والصنعانة^(١١٦) . وفي إقليم الفلج بالهامة كانت توجد أنواع من التمور . كالصفري الذى يصفه
المعداني بأنه سيد التمور : حيث يفرق في البحر « قهات سائر التمران ما خلا الصفري^(١١٧) » . ومن
أنواع التمور التي كانت توجد في الفلج أيضا : السرى ، واللف ، والفحاحيل ، والمجنبي ،
والجعادي ، والتساريخ ، والتسرخ ، والبياض ، والسواد ، والبرنى^(١١٨) . ويذكر تاجر خسرو أن
بالفلج تمر يسمى « مبدون » وزن الواحدة منه عشرة دراهم ، ولا يزيد وزن التوى به عن دائق
ونصف^(١١٩) .

ومن المحاصيل الأخرى في الهامة المحبوب وتأتي في الدرجة الثانية بعد التمور ، وقد أشارت
المصادر الى تصدير الهامة للمحبوب إلى مكة في العهد الإسلامية الأولى - كما أسلفنا - واستمر ذلك
خلال العصورين الأموي والعباسي ، ويشي ابن القتيبة على جودة قمح الهامة وطيب طعمه ويقول بأنه
« يحمل منه إلى الخلفاء »^(١٢٠) . كما كانت تزرع المحبوب في بلاد بنى غير كعكاش في الشربك ،
فيروى بأقوت أن « لم فيه مزارع بر وشعر »^(١٢١) . وكان يحيى بن طالب الحنفي يشترى غلات
السلطان بقرى ، لكن أبو عبدالله السكوني - الذي روى هذا الخبر - لم يوضح لنا نوعية هذه
الغلات الكثيرة^(١٢٢) . ومن المحتمل أن هذه الغلات تشمل على المحبوب والتمور نظرا إلى أن منطقة
قرقرى كانت ولا زالت تشتهر بهذه المحاصيل الزراعية ويروى الأصفهانى أن بنى كعب بن جندب
كان لهم في الأسيلة لخل « ولم قاع يزرعونه يقال له الجشانة »^(١٢٣) .

لقد ورد في المصادر كثيرا كلمة « زرع » و « زروع »^(١٢٤) أثناء الحديث عن بعض قرى
الهامة ، ومن المحتمل أن المصادر تعنى بهذه الكلمة زراعة المحبوب بجميع أنواعها : لأن شهرة الهامة
في إنتاج المحبوب - وبالذات وادي الحرج - كانت كبيرة ، واستمرت حتى نهاية العصر العباسي ،
فيروى أبو القدا أن أهل الأحساء والتخيف كانوا يحملون التمر إلى وادي الحرج بالهامة ، ويشترون

بكل راحلتين من النمر راحلة من الحنطة^(١٢٨) . ولعل ذلك يرجع إلى أن إنتاج التمور ، قد قل في بعض المناطق في الهامة في أواخر القرن السابع الهجري حتى اضطرت إلى الاستيراد من المناطق المجاورة وبالأذات من الأحساء والقطيف ، أما الحبوب فكان إنتاجها يفيض عن حاجتها . ولقد صرح بذلك أبو القدا قاتلا : « وأخبرني من راعها (الهامة) في زماننا هذا أن بها أناسا وقليل نخل ... ووادي الهامة المحرج وبه عدة قرى وبها الحنطة والشعير كثير ... »^(١٢٩) . كما كانت تزرع الحبوب في الفلج في إقليم الهامة في العصر العباسي^(١٣٠) .

ولا نلنا المصادر معلومات مفصلة عن زراعة الخضروات والفواكه في الهامة : سوى أن المصادر ذكرت قرية سدوس بأنها من أخصب قرى الهامة . وكانت تنتج كميات كبيرة من الرمان . حتى أنه كان يباع المائة رمانة بدرهم وكان في غاية الجودة . ولقد عبر الخريبي عن جودة وكثرة الرمان في سدوس بقوله : « تخرج الرمانة كيلجة من حب أحلا شيء ... ثم لو وردتها ألف راحلة ما تبين ما يخرج منها »^(١٣١) . ويذكر أبو عبد الله السكوني بأن قرية سدوس لها رمان موصوف^(١٣٢) .

وكانت الحضرة بستانا مشهورا بخصوبة التربة والإنتاج الزراعي . يقع في الهامة بين حجر (الرياض حاليا) وبين منقوعة « له خاصية في عظم البصل »^(١٣٣) . ويستشف من رواية باقوت أن الزعفران كان يزرع في وادي المياه (وادي جلاجل) في إقليم الهامة^(١٣٤) .

وليس لدينا معلومات مفصلة عن التعامل الزراعي . أو عن العمال الذين راولوا مهنة الزراعة في الهامة في العصر العباسي . ولكن يبدو أن بعض الملاك كان يقوم على زراعة أرضه بنفسه أو بمساعدة رقيقه : يقول جابر بن قرة « كنا نتضح على حرث لنا بتاحية أضاح ولنا غلام ونحن نعمل في حرثنا ... »^(١٣٥) . ويروي الأصفهاني أن رياض السِّل كانت تنقى من وادي بنبان . وكان المزارعون يسكنون في قبتين مبنيتين في هذه الرياض^(١٣٦) . ومن الملاك من كان يزارع على الأرض غيره كأن يدفع له جزءا من المحصول كأجرة على عمله . يقول خسرو بأن الفلاحين في إقليم الفلج بالهامة كانوا يعملون في المزارع « وأجر الرجل في اليوم عشرة سيرات من غلة »^(١٣٧) . وكان بعض المزارعين يستثمر أرض غيره مقابل مبلغ من المال يدفع سنويا . فكان مروان بن أبي الجنوب بن أبي حفصة يستغل ضبعة في الهامة مقابل ألف درهم سنويا^(١٣٨) .

○ الهوامش والتعليقات ○

❦ هذه كتابتني في حدود العاشرة ساعة تاريخ لغزود عبد العرب . - بذكر المحققين في أول دي جدي في الكويت من ١٠ - ١٤ ديسمبر ١٩٨٣ د - وموسمونه : الزى والللاجه .

- ١ من ملقيه كتاب البدر لبحر ١٣ هـ من ٣ وجر بند - فاعله لأفليم بياحه - وقد كصت عدده الرياض على ماخبر عدده جبر انظر حده لبحر عدده الرياض على طوار تاريخ الرياض ١٣٨٦ هـ من ٩
- ٢ ابن حوقل صورة لأرض د - حياه بيروت من ٢٩ أوغست غريب الشان مارس ١٩٨١ هـ من ٨ - الفلشندي نهاية الأرب (القاهرة ١٩٥٩ م) ، من ١٧
- ٣ لأصهدي بلاد العرب الرياض ١٣٨٨ هـ - من ٣٢٢ جرد من الفلشود على موقع بياحه من الحريره العربيه راجع كتاب حياه الاقتصاديه والاجتماعيه في بلاد والحجر في العصر الأموي بيروت ١٩٨١ هـ من ٣٦ وما بعدها

- ٤ نظر صاحب العمل محمد - فحار عبد بنديين ملكه العرب ط ١ سنة ١٣٨٨ هـ من ٢ ٩ عيده من طيس ، معجم البياحه الرياض ١٣٩٨ هـ - ط ٩ - من ١٧
- (٥) الدبوري ، الأخبار الطوال (القاهرة - ١٩٦٠ م) ، من ١٦ - ١٧
- ٦ ابن حزم ، جهره أساليب العرب (دار المعارف ، القاهرة) ، من ٣٠
- ٧ من حياه - سحر النسي تحقيق محمد يحيى تدوين عبد حميد (القاهرة ١٣٤٦ هـ ، ج ٤ من ٣١٦ - ٣١٧ من الآثار يكامل النسخه ١٣٤٦ هـ ج ٢ من ٣٥٣ ويذكر من سحر - شهاده أسلم حسين ، على فارس قدم بدع حيه باليه من البياحه - نظر الفلشود دار صادر بيروت ج ٥ من ٥٥ وعده حلب الظفه للفتح انظر ابن منظور ، لسان العرب طبعه بيروت ١ - ج ٧ ، من ٣٩
- ٨ ابن الأثير الكامل في تاريخ ج ٣ من ٣٥٢ سوري بياحه الأرب دار الكتب المصرية رقم ٥١٩ مصارف عامة ، ورقة ١١

- ٩ لأصهدي مسالك والممالك ندمه ١٣٨١ هـ من ١٢ من حوقل صورة لأرض من ٣٨ الأندلس مره شندق طبع لمر كحصر بحر العرب ملكه مجمع المصنف آخرى سنة ١٩٨١ هـ من ٤٤
- ١ باقر معجم الشان طبعه لا سرج من ٨٤ غنرك وضعه حوسكي ١٨٤٥ هـ من ٣٤٤ وسوس غربه لآثر يعرف بهذا الاسم وفي هذه عامه داب بحيل ويبرج انظر من بيهيد صحيح الأخبار بدمه ١٩٩٢ هـ ج ٣ من ١٨ - بوعده لبحر سكوني هو احمد من حسن من سماعيل الشكري كان محقق بالقيده العباسي أنكسار سم بقلقه بندد وجد الثابت كذا في س - حياه العرب انظر باقر معجم الأدب - مطبعه دار المعرفه القاهرة ١٣٥٧ هـ - ج ٣ ، من ٨ - ٩

- ١١ باقر معجم الشان ج ٩ من ١١٩ ولآثران مطعه الخراج مطعه راجيه داب عنه واساح انظر جديله من طيس - معجم البياحه ، ج ٩ ، من ٣٧١
- (١٢) القلبي ، أحسن التقاسيم في الدنيا ١٩٠٦ م) من ٩٤
- ١٣ باقر معجم الشان ج ٤ من ٦٢ وفري رضى وسفه عرف الأ - باسم النطوي وشهر باح - الفصح والصور وبها عد من قرى منها صرمه ، وإمرجيه والغريد وإمره انظر عدده من حسن معجم بياحه ج ٢ من ٢٧١ - ٢٧٦

٢٤١ (البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ١ ، ص ١١١ .

٢٥ (الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٩ ، ص ٢٢٢ .

٢٦ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٢ . والبره لا تزال موجودة وتبعد عن الرياض حوالي تسعين كيلومترا .

٢٧ (الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢٤ ، ص ١٤٢ . ويقول عبارة بن عقيل :

عجبت للعمرى نوى النصر بعدما

طلعت من السبعين أو كدت أعمل .

انظر الحجري ، التعليقات والتواتر ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١م ، ج ٢ ص ١٥٩ .

٢٨ (نفس المصدر ، ص ٢٥٣ .

٢٩ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٢١ ، والمشارك وضعها ، ص ١٣ . وأتت قرية من قرى الوشم ، لا تزال موجودة وتنتقل أحيانا . انظر مصطفى الدباغ ، الجزيرة العربية ، ص ١٦٠ .

٣٠ (الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٦٢ . وثبتة الأحيسى تعرف الآن بالحبيسة وبعد اصلاحها ومرور السيارات منها سميت (سبع اللغات) . انظر : عبدالله بن خنيس ، معجم الياومة ، ج ١ ، ص ٢١١ - ٢٤٥ .

٣١ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٤٥ ، والمشارك وضعها ، ص ٢٩٨ . والصانع قرية معروفة إلى هذا العهد ، من ضواحي مدينة الرياض ذات تخيل ومزارع . انظر عبدالله بن خنيس ، معجم الياومة ، ج ٢ ، ص ٣٧٠ . والحفصي هو محمد بن ادريس بن ابي حفصه الياسي ، عاش في القرن الثالث الهجري وهو أول من ألف كتابا عن الياومة ، وكان هذا الكتاب من مصادر ياقوت ، وقد أكثر عنه النقل ، لكن كتابه عن الياومة مقلد . انظر : مجلة العرب ، ج ٣ ، السنة : ١٣٨٩/١٩٦٩ ، ص ٦٦٠ .

٣٢ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٠٠ . انظر : غرام ، أسماء جبال تهامة (طبع ضمن نوازل المخطوطات ، القاهرة : ١٣٩٤هـ) ، ص ٤٢٩ . وعفريق بني عقيل يقع بين وادي الدواسر والسيليل . انظر بن خنيس معجم الياومة ، ج ٢ ، ص ١٧٠ .

٣٣ (الحمداوي ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠٦ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢١٤ .

٣٤ (الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٢٨ . ويقول الاستاذ عبدالله بن خنيس بأن الياومة هي ما يعرف الآن بالقاعة بالقرب من صليبخ منزل بني غمر . أصحاب النقل بالياومة الذي يصرم في السنة مرتين » . انظر : معجم الياومة ، ج ١ ، ص ١٢٣ .

٣٥ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٩٤ ، والمشارك ، ص ٤١٩ .

٣٦ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٦٩٩ ، والمشارك وضعها ، ص ٣١٤ . والمعبر هي التي اتخذها إبراهيم بن غريب وإلى الياومة لعبد الملك بن مروان مقرا له . ويبلغ في متسع من وادي العرض أسفل بلدة المعينة . ويرجع الجاسر أن يكون في مواقع المغيرة الآن ، انظر : مدينة الرياض ، ص ٦٦ .

٣٧ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧١٧ .

٣٨ (الحمداوي ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠٤ .

٣٩ (نفس المصدر ، ص ٢٠٤ .

٤٠ (الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ . التطينان سعيان الآن التنظية والضحية . انظر : نفس المصدر ، ص ٢٢٦ ، هامش (٣) .

٤١ (نفس المصدر ، ص ٢٢٧ . وادى الغيل لا يزال معروفا في القلم الأفلاج ، ولا يزال كثير المياه كثير التنور .

- انظر : الخريص ، الثالث ، ص ٦٦٢ . هامش (١) .
- (٥٢) الزحزحري ، الجبال والأمكنة واليهاد (بغداد : ١٩٦٨م) ، وياقوت معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤١٩ .
- (٥٣) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٨٤ .
- (٥٤) الهدائي ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٥ ، ٣٠٦ .
- (٥٥) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٥٧ .
- (٥٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٧٢ (رواية الخفصي) .
- (٥٧) نفس المصدر ، ج ٥ ، (طبعة صادر ، بيروت) ، ص ١١ - ١٢ .
- (٥٨) نفس المصدر ، ج ١ ، (طبعة صادر ، بيروت) ، ص ٤٩٧ . ولا يزال يتبين معروفاً إلى اليوم ويبعد عن الرياض بحوالٍ لحسن كيلاً شياًلاً ، ابن خليس ، معجم الامة ، ج ١ ، ص ١٨٠ .
- (٥٩) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٥ .
- (٦٠) الهدائي ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٦٠ .
- (٦١) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٩ .
- (٦٢) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ . ولا يزال السلي معروفاً ويقع في شرق مدينة الرياض ، وينقطع طريق المنطقة الشرقية . انظر : نفس المصدر ، ص ٢٠٣ . هامش (٤) .
- (٦٣) الهدائي ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨ .
- (٦٤) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٨ .
- (٦٥) نفس المصدر ، ص ٢٨ .
- (٦٦) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٢ .
- (٦٧) الهدائي ، المصدر السابق ، ص ٣٠٦ .
- (٦٨) خسرو ، سفرنامه ، (ترجمة يحيى الخشاب ، بيروت ١٩٧٠) ، ص ١٤٠ ، ١٤٢ .
- (٦٩) غرام ، اساء جبال نهامة ، ص ٤٢١ . ويُعرف غرام في نفس الصفحة البئر بأنه « يشبه الأحشاء ويجري تحت الحصى على مقدار ذراع وفراعين بدون الزراع » .
- (٧٠) الهدائي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .
- (٧١) نفس المصدر ، ص ٢٨٥ .
- (٧٢) نفس المصدر ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣١٢ .
- (٧٣) نفس المصدر ، ص ٣٠٤ .
- (٧٤) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٢ .
- (٧٥) الأديسي ، نزهة المشتاق ، ص ٤٥ .
- (٧٦) الهدائي ، المصدر السابق ، ص ٣٠٤ .
- (٧٧) خسرو ، سفرنامه ، ص ١٤٠ .
- (٧٨) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٩ .
- (٧٩) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٢٣ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٨ . الأديسي ، نزهة المشتاق ، ص ٤٤ .
- (٨٠) خسرو ، المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

- (٨٦) (الأديسي ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .
 (٨٧) (الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٢ ، وانظر أيضا : رواية السكوني في معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٩٠٨ .
 (٨٨) (الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٥ .
 (٨٩) (نفس المصدر ، ص ٢٢٥ .
 (٩٠) (الهذلي ، المصدر السابق ، ص ٣٠٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٤٤ .
 (٩١) (الهذلي ، المصدر السابق ، ص ٣٠٤ .
 (٩٢) (الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٦ .
 (٩٣) (نفس المصدر ، ص ٢٢٧ .
 (٩٤) (الحربي ، لسانك ، ص ٦٢٢ .
 (٩٥) (ضرر ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ .
 (٩٦) (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٧٢ ، ص ٤٩٧ ، ج ٣ ، ص ٦٩٩ ، ج ٤ ، ص ٣١١ ، ٥٤٤ ، ج ٥ ، ص ١١ ، ١٢ ، ٣٥٩ .
 (٩٧) (ياقوت ، لسانك ، ص ٤١٩ .
 (٩٨) (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٠٠ .
 (٩٩) (الهذلي ، المصدر السابق ، ص ٣٨٢ - ٣٨٣ ، الزحري ، المصدر السابق ، ص ٨٣ ، ياقوت ، ج ٢ ، ص ٤١٩ .
 (١٠٠) (الزحري ، المصدر السابق ، ص ٣١٤ ، ومنقحة تقع جنوب الرياض ، وامنت العمران إليها وأصبحت أحد أحياء مدينة الرياض ، انظر : ابن طيس ، معجم الياقوت ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ .
 (١٠١) (البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٤ ، ص ١٢٧٦ .
 (١٠٢) (الهذلي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .
 (١٠٣) (نفس المصدر ، ص ٣٠٨ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢٤ ، ص ١٤٢ .
 (١٠٤) (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٩٢٢ .
 (١٠٥) (الهذلي ، المصدر السابق ، ص ٣٠٨ .
 (١٠٦) (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، طبعة دار صادر بيروت) ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .
 (١٠٧) (الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، وبلدة غير لازال معروفة في إقليم سدير ، أما قرى بلدة تسمى الآن قرية بالقرب من بلدة معجم الياقوت ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .
 (١٠٨) (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٢٢ ، ج ٤ ، ص ٦٢ ، والقرية والأطوار غير معروفان الآن أما قرى ، فتعرف باسم شرماء ، انظر : ابن طيس ، معجم الياقوت ، ج ٢ ، ص ٩٢ .
 (١٠٩) (نفس المصدر (طبعة دار صادر بيروت) ، ج ١ ، ص ٦٠ ، وأياض تسمى الآن بوهه وتقع في أسفل وادي حبيشة ، راجع : ابن طيس ، معجم الياقوت ، ج ١ ، ص ٤٩ - ٥٠ .
 (١١٠) (ياقوت ، معجم البلدان (طبعة دار صادر بيروت) ، ج ١ ، ص ٥٢٧ .
 (١١١) (الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٧٣ .
 (١١٢) (ياقوت ، معجم البلدان ، (طبعة دار صادر بيروت) ، ج ٥ ، ص ١٤ .
 (١١٣) (الهذلي ، المصدر السابق ، ص ٣١٨ .

- (١٠٩) الأصفهاني . بلاد العرب . ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .
- (١١٠) الميداني . المصدر السابق . ص ٣٦٠ .
- (١١١) المصري . التعليقات والتواتر . النسخة الهندية (دار الكتب المصرية ٢٤٢ لغويات) . ص ١٦٤ . والربيع يعرف الآن باسم الزين فيه قري وسكان انظر سعد بن جندل . الربيع . الزين . مجلة العرب . ج ٧ . ص ٨ السنة ١٣٩٦ هـ . ص ٦٦٦ - ٦٦٠ .
- (١١٢) الميداني . المصدر السابق . ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .
- (١١٣) خسرو . سفرنامه . ص ١٢٨ .
- (١١٤) ياقوت . معجم البلدان . ج ٥ . ص ٣٦٠ . (رواية الخفص) . ويسمى الوزير الآن صليبخ وهو غير الوزير الذي يسمى الآن البطحاء . انظر : معجم الهامة . ج ٢ . ص ٣٠ .
- (١١٦) نفس المصدر . ص ٢٩ .
- (١١٧) الميداني . المصدر السابق . ص ٣٠٧ .
- (١١٨) نفس المصدر . ص ٣٠٧ .
- (١١٩) خسرو . سفرنامه . ص ١٤٠ .
- (١٢٠) ابن القليبة . البلدان . ص ٢٩ .
- (١٢١) ياقوت . معجم البلدان . ج ٣ . ص ٧٠٤ . والتشريف يسمى الآن التريفة أو الترفه وتقع فيه بلدة الشعراء . انظر : سعد بن جندل . عالية نجد . (الرياض ١٣٩٨ هـ) . ص ٢٥٧ .
- (١٢٢) ياقوت . معجم البلدان . ج ٤ . ص ٦٢ .
- (١٢٣) الأصفهاني . بلاد العرب . ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .
- (١٢٤) نفس المصدر . ص ٣٠٥ - ٣١٨ . الميداني . المصدر السابق . ص ٢٨٣ - ٢٨٦ . ياقوت . معجم البلدان . ج ٢ . ص ٤ . ص ٦٢ .
- (١٢٥) أبو القدا . تقويم البلدان . ص ٩٩ .
- (١٢٦) نفس المصدر . ص ٩٧ .
- (١٢٧) خسرو . المصدر السابق . ص ١٢٨ .
- (١٢٨) العربي . القناسك . ص ٦١٨ .
- (١٢٩) ياقوت . معجم البلدان . ج ٤ . ص ٨٤ .
- (١٣٠) ياقوت . معجم الأديب . ج ٢ . ص ١٢٤ . ويجب أن نلاحظ أن الحضرمية (فتح الحاء . وسكون الفاء) وتفتح الزاء . ليست الحضرمية (بكسر الحاء . وسكون الفاء . وكسر الزاء) أو الحضارم والتي تقع في الحرج . انظر ابن خليس . معجم الهامة . ج ٩ . ص ٣٨٦ - ٣٨٧ .
- (١٣١) نفس المصدر . (طبعة صافر . بيروت) . ج ٥ . ص ٣٤٦ . وراوى أقياء يعتبر من أشهر أودية سدير ويسمى أيضا وادي جلاجل . انظر ابن خليس . معجم الهامة . ج ٢ . ص ١٣١ . وذكر الخفص أن أول ما يسقى جلاجل وادي المياه معجم البلدان . ج ٥ . ص ٣٤٦ .
- (١٣٢) العربي . القناسك . ص ٢٣٦ .
- (١٣٣) الأصفهاني . بلاد العرب . ص ٣٠٤ .
- (١٣٤) خسرو . سفرنامه . ص ١٤٠ . والسير بوزن حسة عشر مثقالا من غلة انظر : نفس الصفحة هامش (٢) .
- (١٣٥) الطبري . تاريخ الرسل والملوك . ج ٩ . ص ٢٣٢ .